أبو بكر الصديق رضي الله عنه

أعمال قام بها بعد
وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم

إعداد

علي بن محمد عبده المطري

شبكة الألوكة
www.alukah.net

أبو بكر الصديق رضي الله عنه

أعمال قام بها بعد
وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم

إعداد: علي بن محمد عبده المطري
عفا الله عنه وغفر له ورحمه
وأسكنه فسيح جناته
١٨/ رجب / ١٤٤٢ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وأحسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد:

إن من عقيدة أهل السنة والجماعة محبة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

حُبُّ الصَّحابَةِ كُلِّهِمْ لي مَذْهَبٌ = وَمَوَدَّةُ القُرْبى بِها أَتَوَسَّلُ

وَلِكُلِّهِمْ قَدْرٌ وَفَضْلٌ ساطِعٌ = لكِنَّما الصِّدِيقُ مِنْهُمْ أَفْضَلُ

أجمع المسلمون على أنَّ الصحابة رأسُ الأولياء، وصفوة الأتقياء، قدوةُ المؤمنين، وأسوة المسلمين، وخير عبادِ الله بعدَ الأنبياء والمرسلين، روى أحمد عن عبدالله بن مسعود: "إنَّ الله نظر في قلوب العباد، فوجد قلبَ محمَّد صلى الله عليه وسلم خيرَ قلوب العباد، فاصطفاه لنفسه، فابتعثه

برسالته، ثم نظر في قلوب العباد بعدَ قلب محمد صلى الله عليه وسلم فوجد قلوبَ أصحابه خيرَ قلوب العباد، فجعلهم وزراءَ نبيِّه، يقاتلون على دينه".

وأفضلُ الصَّحابة الخلفاءُ الأربعة، ثم بقيَّة العشرة المبشَّرين بالجنة؛ عنِ ابنِ عمرَ قالَ: كنَّا نتحدَّثُ علَى عَهدِ رسولِ اللَّهِ صلَّى اللهُ عليْهِ وسلَّمَ أنَّ خيرَ هذِهِ الأمَّةِ بعدَ نبيِّها أبو بَكرٍ ثمَّ عمرُ ثمَّ عثمانُ فيبلغُ ذلِكَ النَّبيَّ فلا ينْكرُه، وقال - صلى الله عليه وسلم-: «اقتَدوا باللَّذَيْنِ مِن بعدي: أبي بكر وعمر»؛ (سنن الترمذي [٣٦٦٢])، (سنن الترمذي [٣٦٦٢])، حديث حذيفة حسن؛ البدر المنير في تخريج الأحاديث والآثار الواقعة في الشرح الكبير: (٩ / ٥٨).

وأبو بكر رجل لا كالرجال، وفذٌّ لا كالأفذاذ، يكفيه أنه صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم عبدالله بن عثمان بن عامر، أبو بكر الصديق، وكان يُلقَّب بعتيق الله، ثم لُقب بالصدِّيق.

رجل عظيم القدر، رفيع الشأن، شديد الحياء، كثير الورع، حازم، رحيم، تاجر، كريم، شريف، غني بماله وجاهه وأخلاقه، لم يشرب الخمر قط؛ لأنه سليم الفطرة، سليم العقل، ولم يعبد صنمًا قط؛ بل يكثر التبرم من الأصنام، ولم يُؤثَر عنه كذبة قط، نصر الرسولَ يوم خذله الناس، وآمن به يوم كفر به الناس، وصدَّقه يوم كذَّبه الناس، أثنى عليه جل وعلا في كتابه فقال: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠].

شهِد له ربُّ العالمين بالصُّحبة، وبشَّره بالسَّكينة، وحلَّاه بثاني اثنين؛ قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "مَن يكون أفضل ثاني اثنين الله ثالثهما؟!"، وقال عليه الصلاة والسلام: «ما نفعني مالٌ قطُّ ما نفعني مال أبي بكر»، فبكى أبو بكر رضي الله عنه وقال: "هل أنا ومالي إلَّا لك يا رسول الله؟!"؛ (صحيح ابن حبان [٦٨٥٨]).

تخريجه:

أخرجه ابن حبان في "صحيحه" (١٥ / ٢٧٣) برقم: (٦٨٥٨)، والنسائي في "الكبرى" (٧ / ٢٩٦) برقم: (٨٠٥٦)، والترمذي في "جامعه" (٦ / ٤٢) برقم: (٣٦٦١)، وابن ماجه في "سننه" (١ / ٧٠) برقم: (٩٤)، وأحمد في "مسنده" (٣ / ١٥٦٨) برقم: (٧٥٦٣)، والبزار في "مسنده" (١٦ / ٧٩) برقم: (٩١٣٣)، وابن أبي شيبة في "مصنفه" (١٧ / ٢٨) برقم: (٣٢٥٩٠)، والطحاوي في "شرح معاني الآثار" (٤ / ١٥٨) برقم: (٦١٥٢)، والطحاوي في "شرح مشكل الآثار" (٤ / ٢٧٩) برقم: (١٥٩٩)، والطبراني في "الأوسط" (٦ / ٣٩) برقم: (٥٧٢٩).

وهو أول مَن أسلم من الرجال، وهو أول مَن يدخل الجنة بعد الأنبياء، ويُدعَى من أبواب الجنة كلها، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يثني عليه دائمًا، ويقول: «جئتُ أنا وأبو بكر وعمر».

أخرجه البخاري في "صحيحه" (٥ / ٩) برقم: (٣٦٧٧)، (٥ / ١١) برقم: (٣٦٨٥)، ومسلم في "صحيحه" (٧ / ١١١) برقم: (٢٣٨٩)، (٧ / ١١٢) برقم: (٢٣٨٩)، والحاكم في "مستدركه" (٣ / ٦٨) برقم: (٤٤٥٣)، والنسائي في "الكبرى" (٧ / ٢٩٨) برقم: (٨٠٦١)، وابن ماجه في "سننه" (١ / ٧٣) برقم: (٩٨)، وأحمد في "مسنده" (١ / ٢٥٠) برقم: (٩١٣)، والبزار في "مسنده" (٢ / ١٠٢) برقم: (٤٥٣).

ويقول: «لو كنتُ متخِذًا من أُمَّتِي خَلِيلًا، لاتخذْتُ أبا بكرٍ، ولكن أَخِي وصاحِبِي»؛ (صحيح البخاري [٣٦٥٦])، أخرجه البخاري في "صحيحه" (١ / ١٠٠) برقم: (٤٦٦)، (٥ / ٤) برقم: (٣٦٥٤)، (٥ / ٥٧) برقم: (٣٩٠٤)، ومسلم في "صحيحه" (٧ / ١٠٨) برقم: (٢٣٨٢)، (٧ / ١٠٨) برقم: (٢٣٨٢)، وابن حبان في "صحيحه" (١٤ / ٥٥٨) برقم: (٦٥٩٤)، (١٥ / ٢٧٦) برقم: (٦٨٦١)، والنسائي في "الكبرى" (٧ / ٢٩٣) برقم: (٨٠٤٩)، والترمذي في "جامعه" (٦ / ٤١) برقم: (٣٦٦٠)، وأحمد في "مسنده" (٥ / ٢٣١٧) برقم: (١١٣٠٣)، (٥ / ٢٣١٨) برقم: (١١٣٠٤)، (٥ / ٢٣١٨) برقم: (١١٣٠٥)، وابن أبي شيبة في "مصنفه" (١٧ / ٢٧) برقم: (٣٢٥٨٩)، والطحاوي في "شرح مشكل الآثار" (٣ / ٣٦) برقم: (١٠٠٢)، (٣ / ٣٧) برقم: (١٠٠٣).

وأنزل الله في فضائل أبي بكر رضي الله عنه آيات من القرآن، منها قول الله عز وجل: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا﴾ [النور: ٢٢]؛ أخرجه البخاري في "صحيحه" (٣ / ١٥٩)، ومسلم في "صحيحه" (٨ / ١١٢) برقم: (٢٧٧٠).

لا خلافَ أنَّ ذلك في أبي بكر رضي الله عنه، فنعته بالفضلِ رضوان الله عليه، دعي إلى الإسلام، فما كبا ولا نبا، وسمَّاه النبي "الصدِّيق".

ليس في الصحابة من أسلم أبوه وأمه وأولاده وأولاد أولاده، فهم أهل بيت إيمان، ليس فيهم منافق، ولا يعرف هذا لغير بيت أبي بكر، وكان يقال: "للإيمان بيوت، وللنفاق بيوت، وبيت أبي بكر من بيوت الإيمان".

ومن هذا البيت العامر بالإيمان خرجت عائشة بنت الصدِّيق رضي الله عنها، وفيه ترعرعت على يد والدها، فقد كان صوَّامًا قوَّامًا، وإذا قرأ القرآن لا يملك دمعه، في يوم واحد تبع جنازة، وأطعم مسكينًا، وعاد مريضًا، وكان صائمًا، فحكم له بالجنة، وهو أول مَن أوذي بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

عندما تعرض سفهاءُ قريش للنبي صلى الله عليه وسلم وهو يطوف بالبيت وآذَوْه، فلم يطق أبو بكر رضي الله عنه ذلك، دخل يدافع عن النبي صلى الله عليه وسلم وهم يضربون أبا بكر، حتى ضربه عتبة بن ربيعة بنعلين مخصوفتين على وجهه، حتى ما يُعرَف أنفُ أبي بكر من وجهه؛ من كثرة الدم، وحلَف بنو تيم -قوم أبي بكر- إن مات ليقتلُنَّ به عتبة بن ربيعة، فلما أفاق أبو بكر وكان مغشيًّا عليه، فحمله أهله إلى البيت كان أول ما قال: ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ وأبى أن يأكل أو يشرب، حتى يحملوه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ ليطمئن عليه.

أعتق عشرين من الصحابة من ربقة العبودية، الذين كانوا يُعذَّبون بأشد أنواع العذاب وأقساه، وأنفق في ذلك أربعين ألف دينار، قال له صلى الله عليه وسلم: «يا أبا بكر، إن بلالًا يعذَّب في

الله»، فعرف أبو بكر الذي يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم فانصرف إلى منزله، فأخذ رطلًا من ذهب، فاشتراه فأعتقه، ولرأفته رضي الله عنه كان يُسمى "الأوَّاه".

وفي الهجرة تقول عائشة رضي الله عنها: "بينما نحن جلوس يومًا في حرِّ الظهيرة، وإذ برسول الله صلى الله عليه وسلم متقنعًا في ساعة لم يكن يأتينا فيها أبدًا، فيقول أبو بكر: فداء له أبي وأمي، ما جاء إلا لأمر، فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس على سرير أبي بكر، وقال: «أخرِجْ مَن عندك يا أبا بكر»، قال: إنما هم أهلُك، بأبي أنت وأمي يا رسول الله، قال: «فإن الله قد أذِنَ لي في الهجرة»، قال أبو بكر وهو يبكي من الفرح: الصحبةَ يا رسول الله، قال: «الصحبة يا أبا بكر»، قالت عائشة: فوالله، ما شعرت قط قبل ذلك اليوم أن أحدًا يبكي من الفرح، حتى رأيت أبي يومئذٍ يبكي من الفرح"؛ أخرجه البخاري، أخرجه البخاري في "صحيحه" (١ / ١٠٢) برقم: (٤٧٦).

وفي جبل أجرد، في غارٍ قفرٍ مخوف، فبلغ الروعُ صاحبَه، فقال: يا رسول الله، والله لو أن أحدهم نظر إلى قدميه لأبصرنا، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم وهو واثق بربه: «يا أبا بكر، ما ظنُّك باثنين الله ثالثهما؟!»؛ أخرجه البخاري في "صحيحه" (٥ / ٤) برقم: (٣٦٥٣)، (٥ / ٦٥) برقم: (٣٩٢٢)، (٦ / ٦٦) برقم: (٤٦٦٣)، ومسلم في "صحيحه" (٧ / ١٠٨) برقم: (٢٣٨١) ٢٦٨).

ولما سارا في طريق الهجرة كان يمشي حينًا أمام النبي صلى الله عليه وسلم وحينًا خلفه، وحينًا عن يمينه، وحينًا عن شماله.

ولما هاجر مع الرسول الله صلى الله عليه وسلم أخذ ماله كلَّه في سبيل الله.

حين مرض النبي صلى الله عليه وسلم أمره أن يُصلي بالناس؛ ولذا قال عمر رضي الله عنه: "أفلا نرضى لدنيانا مَن رضيه رسولُ الله صلى الله عليه وسلم لديننا؟!".

وعن أبي سعيد الخُدْري رضي الله عنه قال: "خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم الناسَ، وقال: «إن الله خيَّر عبدًا بين الدنيا وبين ما عنده، فاختار ذلك العبدُ ما عند الله»، قال: فبكى أبو بكر، فعجبنا لبكائه أنْ يخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عبد خُيِّر، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم هو المخيَّر، وكان أبو بكر أعلَمَنا"؛ البخاري ومسلم، أخرجه البخاري في "صحيحه" (١ / ١٠٠) برقم: (٤٦٦)، (٥ / ٤) برقم: (٣٦٥٤)، (٥ / ٥٧) برقم: (٣٩٠٤)، ومسلم في "صحيحه" (٧ / ١٠٨) برقم: (٢٣٨٢)، (٧ / ١٠٨) برقم: (٢٣٨٢).

وحينما تمَّت له البيعة بإجماع من المهاجرين والأنصار، وقف خطيبًا في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أخْذ البيعة، قال: "أيها الناس، إني قد وُلِّيتُ عليكم، ولست بخيركم، فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوِّموني، الصِّدق أمانة، والكذب خيانة، والضعيف فيكم قويٌّ عندي حتى آخذ الحق له إن شاء الله، والقوي فيكم ضعيفٌ عندي حتى آخذ الحق منه إن شاء الله، لا يَدَع قومٌ الجهادَ في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذُّل، ولا تشيع الفاحشة في قوم قط إلا عمَّهم الله بالبلاء، أطيعوني ما أطعتُ الله ورسوله، فإذا عصيتُ الله ورسوله، فلا طاعة لي عليكم".

ووقف للرِّدة التي وقعت بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم موقفًا لا هوادة فيه ولا ليونة، وقال كلمته المشهورة: "والله لأقاتلن مَن فرَّق بين الصلاة والزكاة؛ فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عقالًا كانوا يؤدُّونها إلى رسول الله، لقاتلتُهم على منعها".

وفي عهده فُتِحت فتوحات الشام، وفتوحات العراق، وفي عهده جُمع القرآن.

مات أبو بكر رضي الله عنه وما ترك درهمًا ولا دينارًا ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾ [الأحزاب: ٢٣].

كان أبو بكر رضي الله عنه ورعًا زاهدًا في الدنيا، وكان لأبي بكر غلام يخرج له الخراج، وكان أبو بكر يأكل من خراجه، فجاء يومًا بشيء، فأكل منه أبو بكر، فقال له الغلام: تدري ما هذا؟

فقال أبو بكر: وما هو؟ قال: كنتُ تكهَّنت لإنسان في الجاهلية وما أُحسن الكهانة، إلا أني خدعته، فلقيني فأعطاني بذلك، فهذا الذي أكلتَ منه، فأدخَل أبو بكر يده، فقاء كل شيء في بطنه؛ رواه البخاري، أخرجه البخاري في "صحيحه" (٥ / ٤٣) برقم: (٣٨٤٢)، والبيهقي في "سننه الكبير" (٦ / ٩٧) برقم: (١١٦٤٣).

وروى مالك في "الموطأ": أن عمر بن الخطاب دخل على أبي بكر الصديق وهو يجبذ لسانه، فقال له عمر: مَهْ، غفر الله لك! فقال أبو بكر: إن هذا أوردني الموارد؛ أخرجه مالك في "الموطأ" (١ / ١٤٣٨) برقم: (٣٦٢١) والضياء المقدسي في "الأحاديث المختارة" (١ / ٧٥) برقم: (٣)، والنسائي في "الكبرى" (١٠ / ٤٠٢) برقم: (١١٨٤١) وأبو يعلى في "مسنده" (١ / ١٧) برقم: (٥) وابن أبي شيبة في "مصنفه" (١٣ / ٤٨٩) برقم: (٢٧٠٣١)، (٢٠ / ٥٧٩) برقم: (٣٨٢٠٢).

ورأى طيرًا واقعًا على شجرة، فقال: طوبى لك يا طير، والله لوددتُ أني كنت مثلك تقع على الشجرة، وتأكل من الثمر، ثم تطير، وليس عليك حساب ولا عذاب، والله لوددت أني كنت شجرة إلى جانب الطريق، مر عليَّ جمل فأخذني، فأدخلني فاه فلاكني، ثم ازدردني، ثم أخرجني بعرًا، ولم أكن بشرًا.

فرضي الله عنه وأرضاه، وجمعنا به في دار كرامته.

إن سيرة الصحابة والاقتداء بهم نهجٌ غفل عنه البعض، وطواه النسيان عند آخرين، ومعرفة سيرتهم وفضائلهم سببٌ لمحبتهم، وتقرب إلى الله بذلك، وقد قال الرسول صلى الله عليه وسلم: «المرء مع من أحبَّ»؛ رواه مسلم، أخرجه البخاري في "صحيحه" (٨ / ٣٩) برقم: (٦١٦٨)، (٨ / ٣٩) برقم: (٦١٦٩)، ومسلم في "صحيحه" (٨ / ٤٣) برقم: (٢٦٤١)، (٨ / ٤٣) برقم: (٢٦٤١) والدارقطني في "سننه" (١ / ٢٣٩) برقم: (٤٧٧)، (١ / ٢٤٠) برقم: (٤٧٨) وأحمد في "مسنده" (٢ / ٨٦٦) برقم: (٣٧٩٤)، (٨ / ٤٥١٩) برقم: (١٩٩٣٩)، (٨ / ٤٥٢٤) برقم: (١٩٩٦١) والطيالسي في "مسنده" (١ / ٢٠٥) برقم: (٢٥١)، وأبو يعلى في "مسنده" (٦ / ٣١٠) برقم: (٣٦٢٦)، وأورده ابن حجر في "المطالب العالية" (٢ / ٩٨) برقم: (١٥)، وأخرجه أبو يعلى في "مسنده" (٩ / ١٠٠) برقم: (٥١٦٦)، وأخرجه البزار في "مسنده" (٤ / ٢٦٩) برقم: (١٤٣٩)، (٥ / ١٠١) برقم: (١٦٧٨)، (٥

/ ١٦١) برقم: (١٧٥٢)، (٥ / ٣٢٨) برقم: (١٩٥٠) وأخرجه الطحاوي في "شرح معاني الآثار" (١ / ١٤) برقم: (١٣)، وأخرجه الطبراني في "الكبير" (١٠ / ١٢) برقم: (٩٧٨٠).

وقد ذكر ابن الجوزي: "أن السلف كانوا يُعلِّمون أولادهم حب أبي بكر وعمر، كما يعلمونهم السور من القرآن".

فلازِم الصدقَ، وأنفِقِ ابتغاء وجه الله، وأحسِن إلى الخلق، واصبر على الأذى، واقتصر على الكسب الحلال، وتعفف عما في أيدي الناس، وازهد في الحياة.

وأبو بكر الصديق رضي الله عنه مواقفه كثيرة، وسيرته عطرة، جزاه الله عن الإسلام خيرًا.

أما أعمال الخليفة الراشد أبي بكر الصديق رضي الله عنه
بعد موت النبي صلى الله عليه وآله وسلم

أولًا: موقف أبي بكر عند وفاة الرسول:

وأقبل أبو بكر على فرس من مسكنه بالسُّنْح حتى نزل، فدخل المسجد، فلم يكلم الناس، حتى دخل على عائشة فتيمَّم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو مغشي بثوب حِبرَة، فكشف عن وجهه ثم أكبَّ عليه، فقبَّله وبكى، ثم قال: بأبي أنت وأمي، لا يجمع الله عليك موتتين، أما الموتة التي كتبت عليك فقد مِتَّهَا.

ثم خرج أبو بكر، وعمر يكلم الناس، فقال: اجلس يا عمر، فأبى عمر أن يجلس، فتشهد أبو بكر، فأقبل الناس إليه، وتركوا عمر، فقال أبو بكر:

أما بعد، من كان منكم يعبد محمدًا صلى الله عليه وسلم فإن محمدًا قد مات، ومن كان منكم يعبد الله فإن الله حي لا يموت، قال الله: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

قال ابن عباس: والله لكأن الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر، فتلقاها منه الناس كلهم، فما أسمع بشرًا من الناس إلا يتلوها.

قال ابن المسيب: قال عمر: والله، ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها، فعرفت أنه الحق، فعقرت حتى ما تُقِلُّني رجلاي، وحتى أهويت إلى الأرض حين سمعته تلاها، علمت أن النبي صلى الله عليه وسلم قد مات.

ثانيًا: ثبات أبي بكر عند موت رسول الله صلى الله عليه وسلم:

تقول عائشة رضي الله عنها كما في صحيح البخاري: (مات رسول الله صلى الله عليه وسلم بين سحري ونحري، فرأيته قد رفع أصبعه وهو يقول: بل الرفيق الأعلى، بل الرفيق الأعلى، بل الرفيق الأعلى، تقول: فعلمت أنه يُخيَّر، وأنه لا يختارنا)؛ أخرجه البخاري في "صحيحه" (١ / ٥٠) برقم: (١٩٨)، (١ / ١٣٣) برقم: (٦٦٤)، ومسلم في "صحيحه" (٢ / ٢٠) برقم: (٤١٨)، (٢ / ٢١) برقم: (٤١٨).

وفي رواية أخرى في صحيح البخاري من طريق الزهري عن عروة أنها قالت: (فسمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "اللهم اغفر لي وارحمني وألحقني بالرفيق الأعلى"، تقول: وسقطت يد رسول الله صلى الله عليه وسلم فعلمت أنه قد مات).

فخرجت عائشة تصرخ، فلقيها فاروق هذه الأمة عمر وصرخ عمر: رسول الله ما مات، ورفع السيف وقال: والله لأعلونَّ بسيفي هذا كل من زعم أن رسول الله قد مات، وإنما ذهب إلى لقاء ربه عز وجل كما ذهب موسى بن عمران، وليرجعن ليقطعن أيدي وأرجل المنافقين، وخرس لسان عثمان وأقعد علي.

هذا حال هؤلاء الأطهار! حال هؤلاء الأخيار الأبرار، فما ظنُّكم بمن دونهم؟! وثبت الله يومها صِدّيق الأمة، وعاد أبو بكر من بيته في السُّنْح ورأى هذه الجموع الملتهبة المتأجّجة الصارخة الباكية فلم يلتفت إلى شيء، ويمَّم وجهه صوب غرفة عائشة ودخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى حبيبه المصطفى مسجى وقد غُطي وجهه الأنور، فجلس على ركبتيه بين يدي أستاذه وحبيبه رسول الله وبكى وقبَّله بين عينيه، وقال: طبت حيًّا وميتًا يا رسول الله.

أما الموتة التي قد كتبها الله عليك فقد ذقتها ولا ألم عليك بعد اليوم، وقال كما في الحديث الذي حسَّنه شيخنا الألباني في مختصر الشمائل (وانبياه واصفياه واخليلاه!) وترك الصدّيق وأودع قبلة حانية رقيقة على جبين أستاذه وحبيبه وإمامه ونبيه وخرج إلى هذه الجموع المتأجّجة الملتهبة فقال: على رسلك يا عمر! اسكت يا عمر! أيها الناس، من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقِبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ * وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُؤَجَّلًا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٤، ١٤٥].

يقول عمر: فلما سمعتها وعلمت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد مات عقرت -أي: وقع على الأرض- وثبت الله الصديق رضي الله عنه أي ثبات هذا؟! وأي فصاحة وبلاغة هذه؟! من كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت، ومن كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات.

سبحانك يا من وهبت هذا اليقين وهذا الثبات لهذا الرجل العظيم الكبير! يقول ابن مسعود: كدنا أن نقوم مقامًا بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم نهلك فيه لولا أن منَّ الله علينا بأبي بكر.

نعم فرسول الله قد مات، والدعوة أبقى من الداعية، والدين أبقى من صاحبه الذي جاء به للناس لا ليظل معهم عليه، وإنما جاء ليربط الناس بهذه العروة الوثقى، ثم يمضي إلى ربه وهم عليها من غير تبديل ولا تحريف ولا تعطيل.

مضى النبي صلى الله عليه وسلم إلى ربه، فلتبقَ الدعوة وليبقَ الإسلام وليبقَ الدين، ويا راية الله رفرفي، ويا خيل الله اركبي، ويا أبناء رسول الله قوموا! لما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسرت كلمات الصديق في قلوبهم وعروقهم سريان الدماء في العروق وسريان الماء في شقوق الأرض المتعطشة للماء، قاموا وعاد إليهم رشدهم.

ثالثًا: حسم الخلاف في مكان دفن النبي صلى الله عليه وآله وسلم:

عن عائشةَ - رَضِيَ اللهُ عنها - قالت: لما قُبِضَ رسولُ اللهِ - صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم- اختلفوا في دَفْنِه، فقال أبو بكرٍ - رَضِيَ اللهُ عنه -: سَمِعْتُ من رسولِ اللهِ - صلَّى اللهُ عليهِ وسلَّم - شيئًا، قال: ما قبض اللهُ نبيًّا إلا في الموضع الذي يحبُّ أن يُدْفَنَ فيه؛ ادفِنُوه في موضع فراشِهِ؛ رواه الترمذي، أخرجه الترمذي في "جامعه" (٢ / ٣٢٧) برقم: (١٠١٨)، وابن ماجه في "سننه" (٢ / ٥٥٠) برقم: (١٦٢٨)، وأحمد في "مسنده" (١ / ١٦) برقم: (٢٨)، وأبو يعلى في "مسنده" (١ / ٣١) برقم: (٢٢)، (١ / ٣٢) برقم: (٢٣)، (١ / ٤٦) برقم: (٤٥)، والبزار في "مسنده" (١ / ٧٠) برقم: (١٨)، (١ / ١٣٠) برقم: (٦٠)، (١ / ١٣٠) برقم: (٦١)، (١ / ١٨٦) برقم: (٦١ (م)) وأورده ابن حجر في "المطالب العالية" (١٧ / ٥٤٤) برقم: (٤٣٣٠)، وأخرجه عبد الرزاق في "مصنفه" (٣ / ٥١٦) برقم: (٦٥٣٤) وأخرجه ابن أبي شيبة في "مصنفه" (٢٠ / ٥٦٢) برقم: (٣٨١٧٧) وأخرجه الترمذي في "الشمائل" (١ / ٢١٣) برقم: (٣٨٩).

رابعًا: حسم رضي الله عنه الخلاف في موضوع الخلافة:

نشب خلاف بين المهاجرين والأنصار بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم من الذي سيكون الخليفة عليهم فحسم أبو بكر الخلاف بما سمعه من النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: الأئمة من قريش، قال سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: (الأئمة من قريش) فاقتنع المهاجرون والأنصار، أخرجه الضياء المقدسي في "الأحاديث المختارة" (٢ / ٧٢) برقم: (٤٤٩)، (٢ / ٧٣) برقم: (٤٥٠) والحاكم في "مستدركه" (٤ / ٧٥) برقم: (٧٠٥٤)، والبيهقي في "سننه الكبير" (٨ / ١٤٣) برقم: (١٦٦٣٦)، وأبو يعلى في "مسنده" (١ / ٤٢٥) برقم: (٥٦٤)، والبزار في "مسنده" (٣ / ١٢) برقم: (٧٥٩)، وأورده ابن حجر في "المطالب العالية" (٩ / ٦٠٣) برقم: (٢١٠٥)، وأخرجه عبدالرزاق في "مصنفه" (١١ / ٥٨) برقم: (١٩٩٠٣)، وأخرجه ابن أبي شيبة في "مصنفه" (١٧ / ٢٩٠) برقم: (٣٣٠٦٠)، (١٧ / ٢٩١) برقم: (٣٣٠٦١)، (١٧ / ٢٩٢) برقم: (٣٣٠٦٤)، (١٨ / ٢٤٤) برقم: (٣٤٤٠١)، (٢١ / ٤٨) برقم: (٣٨٣١٠)، وأخرجه الطبراني في "الأوسط" (٤ / ٢٦) برقم: (٣٥٢١)، وأخرجه الطبراني في "الصغير" (١ / ٢٦٠) برقم: (٤٢٥).

خامسًا: إنفاذ جيش إسامة رضي الله عنه:

وأنفذ أبو بكر جيش أسامة بن زيد، ليقاتل الروم، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم قد اختار أسامة قائدًا على الجيش رغم صغر سِنّه، وحينما لقي النبي صلى الله عليه وسلم ربه، صمَّم أبو بكر على أن يسير الجيش كما أمر الرسول صلى الله عليه وسلم، وخرج بنفسه يودع الجيش، وكان يسير على الأرض وبجواره أسامة يركب الفرس، فقال له أسامة: يا خليفة رسول الله، إما أن تركب أو أنزل، فقال: والله لا أركبن ولا تنزلن، وما لي لا أغبِّر قدمي في سبيل الله، وأرسل -رضي الله عنه- الجيوش لفتح بلاد الشام والعراق حتى يدخل الناس في دين الله.

سادسًا: حروب الردة:

بعد وفـاة الرسول - صلى الله عليه وسلم - ارتدت العرب ومنعت الزكاة، واختلف رأي الصحابة في قتالهم مع تكلمهم بالتوحيد، قال عمر بن الخطاب: كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «أُمرتُ أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فإذا قالوها عصموا مِنّي دماءَهم وأموالهم إلا بحقها، وحسابهم على الله!».

فقال أبو بكر: الزكاة حقُّ المال، وقال: والله لأقاتلن من فرَّق بين الصلاة والزكاة، والله لو منعوني عَنَاقًا كانوا يؤدّونها الى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لقاتلتهم على منعها؛ [البخاري ٢٤٤/٢١، حديث ٦٤١٣، مسلم ١١٤/١، حديث ٢٩]، ونصب أبو بكر الصديق وجهه وقام وحده حاسرًا مشمِّرًا حتى رجع الكل إلى رأيه، ولم يمت حتى استقام الدين، وانتهى أمر المرتدِّين.

سابعًا: جمع القرآن الكريم:

ومن أجلِّ أعمال أبي بكر جَمْع القرآن الكريم، وقد عهد بذلك إلى زيد بن ثابت رضي الله عنه، فقام بالأمر حتى كتب المصحف في صحف جُمعت كلها، ووضعت عند أبي بكر، حتى انتقلت من بعده إلى عمر، ثم إلى عثمان رضي الله عنهم أجمعين.

ثامنًا: جيوش العراق والشام:

ولمَّا فرغ أبو بكر -رضي الله عنه- من قتال المرتدين بعث أبا عبيدة إلى الشام وخالد بن الوليد إلى العراق، وكان لا يعتمد في حروب الفتوحات على أحد ممن ارتدَّ من العرب، فلم يدخل في الفتوح إلا من كان ثابتًا على الإسلام.

تاسعًا: استخلاف عمر:

عقد أبو بكر في مرضه الذي توفي فيه لعمر بن الخطاب عقد الخلافة من بعده، ولما أراد العقد له دعا عبدالرحمن بن عوف، فقال: أخبرني عن عمر، فقال: يا خليفة رسول الله، هو والله أفضل من رأيك فيه من رجل، ولكن فيه غلظة، فقال أبو بكر: ذلك لأنه يراني رقيقًا، ولو أفضى الأمر إليه لترك كثيرًا مما هو عليه، ويا أبا محمد، قد رمقته فرأيتني إذا غضبت على الرجل

في الشيء، أراني الرضا عنه، وإذا لنت أراني الشدة عليه، لا تذكر يا أبا محمد مما قلت لك شيئًا، قال: نعم.

ودخل على أبي بكر طلحة بن عبيد الله، فقال: استخلفت على الناس عمر، وقد رأيت ما يلقى الناس منه وأنت معه، فكيف به إذا خلا بهم، وأنت لاقٍ ربك فسائلك عن رعيتك؟

فقال أبو بكر وكان مضطجعًا: أجلسوني، فأجلسوه، فقال لطلحة: "أبالله تفرقني أو بالله تخوفني، إذا لقيت الله ربي فساءلني قلت: استخلفت على أهلك خير أهلك؟".

وأشرف أبو بكر على الناس من حظيرته وأسماء بنت عميس ممسكته موشومة اليدين وهو يقول: "أترضون بمن أستخلف عليكم فإني والله ما ألوت من جهد الرأي، ولا وليت ذا قرابة، وإني قد استخلفت عمر بن الخطاب فاسمعوا له وأطيعوا"، فقالوا: "سمعنا وأطعنا".

دعا أبو بكر عثمان خاليًا، فقال له: اكتب: "بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما عهد به أبو بكر ابن أبي قحافة إلى المسلمين، أما بعد" ثم أغمي عليه فذهب عنه، فكتب عثمان: "أما بعد، فإني أستخلف عليكم عمر بن الخطاب ولم آلكم خيرًا"، ثم أفاق أبو بكر فقال: "اقرأ عليَّ"، فقرأ عليه، فكبَّر أبو بكر، وقال: "أراك خفت أن يختلف الناس إن مت في غشيتي"، قال: نعم، قال: "جزاك الله خيرًا عن الإسلام وأهله"، وأقرها أبو بكر رضي الله عنه من هذا الموضع، فأبو بكر كان يرى ويعتقد أن عمر بن الخطاب خير من يتولى الخلافة بعده مع شدته، والحقيقة أنه كان كذلك، [كنز العمال ٦٧٦/٥، تاريخ الطبري ٦١٨/٢].

عاشرًا: كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه أول من أنشأ الشرطة في الإسلام

حيث أمر بطواف العسس ليلًا للحفاظ على الأمن، وكان عبدالله بن مسعود أول من أوكلت له هذه المهمة.

وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وسلم تسليمًا كثيرًا.

المحتويات

مقدمة ٣

تخريجه: ٥

أولًا: موقف أبي بكر عند وفاة الرسول: ١١

ثانيًا: ثبات أبي بكر عند موت رسول الله صلى الله عليه وسلم: ١١

ثالثًا: حسم الخلاف في مكان دفن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: ١٣

رابعًا: حسم رضي الله عنه الخلاف في موضوع الخلافة: ١٤

خامسًا: إنفاذ جيش إسامة رضي الله عنه: ١٤

سادسًا: حروب الردة: ١٥

سابعًا: جمع القرآن الكريم: ١٥

ثامنًا: جيوش العراق والشام: ١٥

تاسعًا: استخلاف عمر: ١٥

عاشرًا: كان أبو بكر الصديق رضي الله عنه أول من أنشأ الشرطة في الإسلام..... ١٦